المحاضرة الخامسة

في مقياس السيمياء

السنة الثانية ماستر

لسانيات عامة

المربع السيميائي (carre sémiotique) :

يُعد "ألجيراس جوليان غريماس " قائد درس السيميائية السردية ،لما أحدثه من ارتجاج في السيميائية ،فهو من السيميائيين الذين اهتموا كثيرا بالأشكال الداخلية لدلالة النصوص ،وحسب رأيه فإن الدراسة التحليلية الدقيقة للنص تتم من خلال مستويين (السطحي و العميق) ،وأن الدلالة لا تُستنبط من سطح النص فحسب ،وإنما بالغوص في عمق النص ،فهو يرى أن أرقي السيميائيات مرهون أساسا بتوسع مجال اهتمامها في دراسة الدلالة ،وعليه فإن السيرورة الدلالية التي تقود إلى الكشف عن المعاني هي ما يُشكل الموضوع الفعلي والحقيقي للسيميائيات .

وقد رأى "غريماس" أن المعنى يقوم على أساس اختلافي ،أي أن تحديده لا يتم إلا بمقابلته بضده ،وفق علاقة ثنائية متقابلة .

وقد صاغ "غريماس" أفكاره هذه من خلال ما سماه بالمربع السيميائي ،الذي يُعد أهم عنصر يدرس المنهج في البنية العميقة ،باعتباره حوصلة لكل تحليل سيميائي ،والذي سعى من خلاله إلى تفسير كيف يتم التحول من المفاهيمي المجرد إلى المشخص المحسوس ،إنه التمثيل الذي منه حاول رصد المعنى بنمذجة العلاقات الأولية للدلالة القاعدية ،وحاول ربط ظاهرة النص بباطنه ،في تنظيم قائم على أساس العلاقات الأصولية :(تضاد \ تناقض \ تضمين) ، القائمة بين وحدات دلالية متولدة في البنية الأساسية .

إذن فما هو المربع السيميائي (أو مربع غريماس) ؟

المربع السيميائي مصطلح نقدي حديث ،استخدمه "غريماس" في التحليل السردي ؛ للتوصل إلى إمكانيات تحصيل الدلالة ،عن طريق تحليل تناقضاتها وتضاداتها ،وقد اعتبره غريماس (تمثيلا مرئيا لعملية التمفصل المنطقي لمقولة دلالية ما) .

وقد عرّفه " رشد بن مالك " ،في قاموسه (مصطلحات التحليل السيميائي) بقوله (يُفهم من المربع السيميائي التمثيل المرئي للتمفصل المنطقي لأية مقولة دلالية) .

في حين عرّفه (جوزيف كورتيس) بأنه (تجسيد مرئي لتمفصل مقولة دلالية ،كما يمكن استخراجها على سبيل المثال من عالم خطاب معطى مقولة تمثل اللب ،المستوى الأكثر عمقا)؛ بمعنى أن المربع السيميائي عبارة عن قاعدة منطقية دلالية، يسعى إلى تمثيل كيف يتم إنتاج الدلالة،، ويختزل كل التمظهرات السطحية للنص، يقوم في جوهره على لعبة الاختلافات الدلالية؛ لبناء المعنى وتنظيمه، فلا يمكن الحديث عن الغني مثلا إلا بالحديث عن الفقير....

إن المربع السيميائي طريقة في التحليل الدلالي، أريد منه إظهار التقابلات ونقاط التقاطع في النصوص ،وتطور حركة عناصر السرد وانتقالاتها ،من زاوية إلى أخرى (سيرورة تطور البناء الدلالي).

والمربع السيميائي يتكون من أربع زوايا ، تتضمن وحدات دلالية ،تمثل الزاويتان العلويتان الشيء ونقيضه ،أما الزاويتان في الأسفل ،فتمثل نفي الشيء ونفي نقيضه ،وتربط بين هذه الوحدات الدلالية علاقات متنوعة على النحو التالي :

1 -علاقة التضاد :وهي علاقة تقوم بين (د 1) و (د2) ،وبين (لا د 1) و (لا د2) ،وهي عبارة عن تقابل أو تعاكس بين الوحدتين ،ويفترض وجود أحدهما وجود الآخر .

2 -علاقة التناقض :وهي علاقة تقوم بين (د 1) و(لاد1) ،وبين (د 2) و(لا د2) ،ومن الواضح أن عملية النفي هي التي تحقق الانتقال من (د 1) إلى (لا د1) ،ومن (د 2) إلى (لا د 2) ،إنها علاقة تنبني أساسا على الاختيار بين واحد من العنصرين ،بمعنى أن إحدى الوحدتين تنفي الأخرى وتنقضها ،فلا مجال للجميع بينهما .

3 -علاقة التضمين :وهي علاقة تربط بين (د 1) و (لا د2) ،وبين (د 2) و (لا د1) ،وتتولد بشكل طبيعي من عملية النفي السابقة ،يتضمن نفي (لا د 1) تثبيت (لا د2) .

وهذه العلاقات تُوجد على الصعيد التحتي ،وممثلة على الصعيد الفوقي ،فجوهر المحتوى يتمفصل إلى سيمين مضادين (د 1\ د2) ،وهما يُشيران إلى وجود عناصر متناقضة (لا د 1 \ لاد2) ،والمخطط الموالي يُوضح شكل المربع السيميائي :

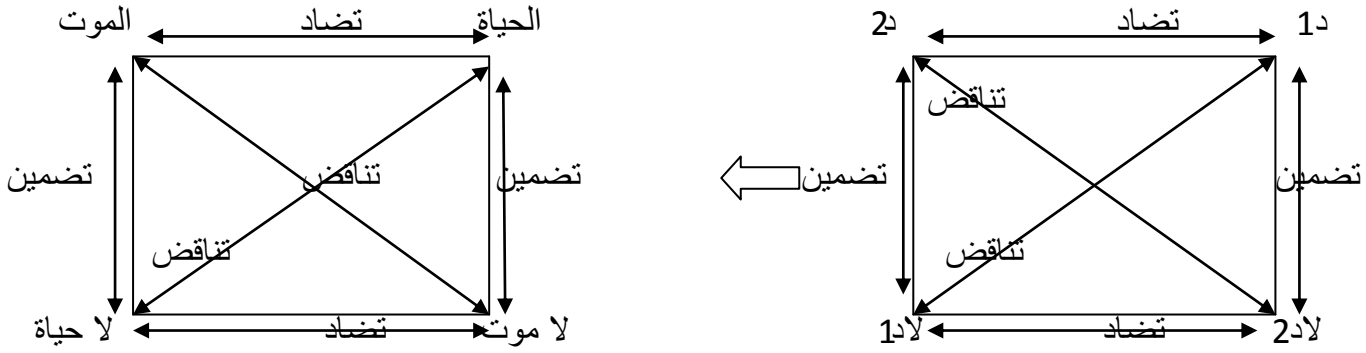

ويرتكز إقامة المربع السيميائي إلى تحليل عمليتين أساسيتين ،هما :الإثبات والنفي ؛إذ تعد عملية النفي ذات طابع فصلي ،أما الثانية (الإثبات) فهي ذات طابع وصلي ،ومنه يتناقض (الإثبات والنفي) .

والمقصود بالانفصال التحول الخاص بالنفي ،والاتصال التحول الدال على الإثبات ،وعملية (النفي و الإثبات) يتم من خلالها الانتقال من طرف إلى آخر ،إنها-العملية- لب التحول الذي يُسميه " غريماس " (القلب) ،وانطلاقا من تحريك المربع يحدث الانتقال ،فلا يُمكن مثلا أن ننتقل من الحياة إلى الموت إلا عبر (لا حياة) ،والمخطط الآتي يوضح ذلك :

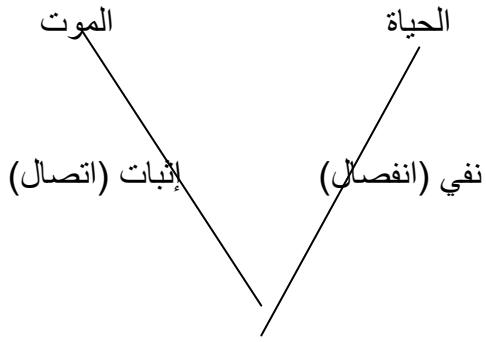

يلاحظ مما سبق أن المربع السيميائي هو نموذج لتمثيل توليد الدلالة، يبين طرائق هندسة المعنى في النص، وتشكل الدلالة سطحا وعمقا.

ومن المربع السيميائي نكتشف أن السرد يتكون من :

1 -لعبة العلاقات (التقابلات): وتتمثل في علاقات :التضاد –التضمين –التناقض .

2 -لعبة العمليات: وتتمثل في عمليتي النفي والإثبات، وهنا يتأكد المظهر التركيبي والدينامي للمربع السيميائي .

وأن الفهم الحقيقي للصور الدلالية والسيميولوجية للنص أو الخطاب؛ لا يتحقق إلا إذا اعتمدنا على المربع السيميائي، وأن علاقات المربع (التضاد –التضمين -التناقض) تتواجد على المستوى العميق، بينما البنية السطحية يمثلها السرد والحكي.